لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الواحد والعشرون: تفسير الآيات ٦٣-٧٣ من سورة الأحزاب

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الواحد والعشرون من سلسلة لقاءات هذا الشهر المبارك في عام ١٤٣٤هـ، نسأل الله عزّ وجلّ أن يقبل أعمالنا وأن يجعل هذه الساعة في موازيننا، وأن يجعلنا ممّن عظّمه سبحانه وتعالى واتّبع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم موقّرًا له.

وهذه السورة العظيمة التي نحن بصدد مناقشة بعض آياتها **وهي سورة الأحزاب**، لكثير من آيات هذه السورة أسباب نزول، وأكثر السورة نزل للرد على المنافقين وأقوالهم التي قصدوا بها أذى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما قالوه عنه صلى الله عليه وسلم في تزوجه لزينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد ابن حارثة رضي الله عنه، فقالوا: تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك! وفي هذه السورة إبطال التبنّي، وأن الحق هو في أحكام الله؛ لأنه الخبير سبحانه وتعالى بأحوال الخلق وما ينفعهم، وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

وفي هذه السورة لو تأمَّل المتأمِّل وجد ما يجب علينا من ولاية النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أنّ ولاية النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أقوى ولاية ولأزواجه حرمة الأمهات، وتلك ولاية جعلها الله، فهي أقوى وأشدّ من ولاية الأرحام.

فأين مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من قلوبنا؟!

وأين مكانة أمهاتنا من الاحترام والتوقير والذكر والثناء والترضي؟!

فمَن أراد أن يهرب من صفة المنافقين ويلج إلى حياض الصالحين، فعليه بموالاة النبي صلى الله عليه وسلم وتقديمه على نفسه، وبتوقير أمهاتنا أمهات المؤمنين، وهذا أمْر يجب على الإنسان حَمْل نفسه عليه، بأي شيء؟

بأن تكثر القراءة والعلم عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال أمهاتنا وفضائلهن، وأن نربي أبناءنا على ذلك، وهذه من أهمّ المهمّات، تربية الأبناء على تعظيم الله وتوقير النبي وحرمة أمهاتنا أمهات المؤمنين، لابدّ من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم فهو العظيم في الملأ الأعلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾الأحزاب: ٥٦، أنت تريد أن تهرب من وصف المنافقين فعليك بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم، واحذر أن تتورط في إيذائه، وسيأتينا في الآيات التي سنقرأها كيف أن الله حذّر المؤمنين من أن يؤذوا النبي صلى الله عليه وسلم كما آذى اليهود موسى عليه السلام.

ولك في التاريخ صور لا تنتهي، في التاريخ الماضي والتاريخ المعاصر، كم وقعوا في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم فكانت نهاياتهم على ما ابتدؤوه هم، أهانهم الله لما تعدّوا على حقّ النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما يُذكر أنّ في إحدى الدول العربية في الزمن المعاصر أنّ أديبًا أعمى وُقِّر ورُفع من قِبَل أحد المنظّمات الدولية، فدخل هذا الأديب على ملك تلك الديار، فقدّم له الملك من الاحترام ما قدّم، انتهى هذا الموقف، ثم أتى هذا الملك إلى المسجد المجاور لقصره فخطب الخطيب المفوّه يريد أن يمدح الملك، ومن المعلوم أن الفصاحة قرينة النفاق إن لم يكن هناك تقوى! أراد أن يمدح الملك فقال فيه: من جاءه الأعمى فلم يعبس ولم يتولَّ! يقصد بذلك مدح الملك، وفي نفس الوقت التعريض بالنبي صلى الله عليه وسلم، صلوا، فقام قائمهم بعد ذلك فقال: أعيدوا الصلاة أيها المؤمنون فقد صليتم وراء كافر! لأن موقفه هذا يدلّ على الكفر. ثم يقول هذا القائم الذي قام -وهو من علماء المسلمين-: يقول أولاده أنهم رأوا هذا الخطيب بعد سنين يتكفّف عند المساجد! حصل ما حصل في الديار وتغيّرت الأحوال، وبعدما كان خطيب الملك أصبح متكفّفًا، وهذه الإهانة يستحقّها، غير ما ينتظره عند الله.

المقصد أن الإيذاء قد يأتي من أهل الكفر للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يُستغرب، ليس بعد الكفر ذنب، لكن الذي يستغرب هو الإيذاء من المؤمنين! والإيذاء من المؤمنين المسلمين أحيانًا يكون بسبب عدم تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، يخرج من لسانهم ما يخرج وتسمع الإشارات والنكات المضحكات ما يخرج الإنسان عن دينه وهو لا يشعر!.

فنسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا ممن حفظ دينه، ووقّر نبيه، وعظّم ربّه، واحترم أمهاته أمهات المؤمنين.

يناديه في أول السورة فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ وهذا النداء فيه من التوقير والمكانة ما فيه، وفي هذه السورة لما افتتحت السورة بهذا النداء نودي فيها خمس مرات بهذا النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ في مقابل أن الأنبياء كلهم يناديهم الله عزّ وجلّ بأسمائهم، وهذا فيه ما فيه من الدلالة على مكانته صلى الله عله وسلم.

فالمؤمنين من ركائز إيمانهم، ومما هم على يقين أنهم سيسألون عنه في قبرهم: (من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟) فإذا أردت النجاح والفلاح لك ولأبنائك ولذراريك، فاقضِ لياليك وأيّامك وأشغل نفسك بسيرته صلى الله عليه وسلم؛ لأننا كما سمعنا بالأمس ونحن على يقين أننا سنُسأل جميعًا: ماذا أجبتم المرسلين؟ فماذا أعددنا لهذا السؤال؟ ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ القصص: ٦٥.

نعوذ بالله أن نكون على حال مثل الحال التي سمعناها أمس، أن تعمى علينا الأنباء، إنما نرجو من الله أن نكون عاش على اعتقاد يقيني تعلمه وعلم ذريته وعلم من هو تحت يده، ومن عاش على شيء مات عليه، وأهم ما في الأمر الصدق مع الله عزّ وجلّ.

على كل حال سنقرأ من الآيات ما يتيسّر لنا ولكن هذا في الأصل هذا هو مقصودنا، أن نقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم موقّرين له، محبّين له، نرجو من الله أن نكون من أتباعه يوم الدين، يمدّ لنا يده الشريفة فنشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم.

وفي سورة الأحزاب أمور عظيمة على أهل الإيمان أن يتتبعوها، ولكننا اخترنا أن نناقش خاتمتها لما في الخاتمة من إجمال أمور عظيمة، نسأل الله عزّ وجلّ أن يبارك لنا في الأوقات وأن ينفعنا بما نسمع ونفهم من كتابه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٣ – ٧٣].

يقول عزّ وجلّ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ هذه الآية العظيمة تنقلنا إلى الكلام حول الإيمان باليوم الآخر، نبدأ بقراءة كلام الشيخ حولها، يقول:

– **أي: يستخبرك الناس عن الساعة،** –وهم أصناف– **استعجالاً لها، وبعضهم، تكذيبًا لوقوعها، وتعجيزًا للذي أخبر بها.**

وهذا من مقاصد من سأل، يعني هنا يسألون ويستخبرون ومقاصدهم أن يستعجلوا بها، وبعضهم يسأل مكذّبًا لها، والمكذبون بها هم أكثر السائلين، وسؤالهم تهكم ويريدون أن يبطلوها بسؤالهم.

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، وهؤلاء هم الذين كثر ذكرهم في القرآن، لكن هناك صنف مؤمن مصدق بأنها واقعة ولكنهم يسألون عن أحوالها وأهوالها، وهؤلاء هم الذين ورد ذكرهم في سورة الشورى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ ﴾ الشورى: ١٨ .

إذن أهل الإيمان يسألون عن الساعة سؤال من يريد أن يعرف ماذا عليه أن يفعل، وربما يسأل الإنسان عنها محبة لمعرفة المغيبات، هؤلاء إذا سألوا هذا السؤال نشغلهم بالأهم، وكما ورد في الحديث عندما سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ أَنِ اسْكُتْ، فَسَأَلَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ أَنِ اسْكُتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ: ((وَيْحَكَ مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟)) قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: ((إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)) [1].

فنسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا معه صلى الله عليه وسلم وأن نكون صادقين في حبنا له.

المقصد أن هؤلاء يستخبرون عن الساعة فكان الجواب:

- **{ قُلْ } لهم: { إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ } أي: لا يعلمها إلا اللّه، فليس لي، ولا لغيرى بها علم، ومع هذا، فلا تستبطؤوها.**

إذن هذا ما نعتقده وهو أن علم الساعة علم مغيب لا يعرفه أحد، وأن ما يقولونه وما يعرضونه من نهاية العالم ومن الأكاذيب يرد عليها المؤمن بكلمة واحدة {قل إنما علمها عند الله} ويقول عزوجل:

- **{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا }** -فلا تستبطؤوها- **ومجرد مجيء الساعة، قرباً وبعدًا، ليس تحته نتيجة ولا فائدة**

[1] صحيح ابن خزيمة.

لا يوجد فائدة من وراء هذا البحث، فأي شيء يدريك أن الساعة قريبة أو بعيدة، لعلها تكون قريبة أو بعيدة فإذا كانت قريبة أو بعيدة انت في نهاية الأمر أنت المطلوب منك أمر واضح، مجرد أنها تأتي أمر كاف، سواء كانت قريبة أو بعيدة

- **وإنما النتيجة والخسار، والربح، والشقا والسعادة، هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟**

هذا الذي يجب عليك أن تنشغل به.

- **فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها.**

فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب؛ لأن الوصف المذكور، منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة فقال: { إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ } .

يعني الآن لا تشتغل بقربها ولا بعدها، اشتغل أنت بصفة من ينجو فيها، إذن ما حظّ الكافرين من وعيد الساعة ؟ { إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا } .

- **أي: الذين صار الكفر دأبهم وطريقتهم الكفر باللّه وبرسله، وبما جاءوا به من عند اللّه، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفى بذلك عقابًا**

إذن عرض عليهم الحق وهم اختاروا المخالفة.

- **{وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا } أي: نارًا موقدة، تسعر في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفئدتهم، ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يُفَتَّر عنهم ساعة.**

المعنى: أن هؤلاء أهل الكفر يقع عليهم في الآخرة من العذاب ما يذهب معه كل ما تمتعوا به في الدنيا، ولهذا أمس لما كنا نقرأ في آيات سورة القصص ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ القصص: ٦٠ ولذلك قيل لهم ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص: ٦١ أي أن حالتهم في الدنيا الآن لا تغرك، حالتهم كحالة المخلوقات، يتمتعون في الحياة الدنيا من حياة ورزق، وهذا وصريح في الآيات، صريح في الأخبار النبوية،

وصريح في الآيات كما قرأنا أمس، لهذا ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ﴾ آل عمران:١٩٦-١٩٧ متاع قليل، لكن الأمر والشأن في يوم القيامة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴾ أنت الآن تؤمن بالغيب، إذا كنت تؤمن بالغيب إذن لا يغرنك تقلبهم في البلاد، إن كنت تؤمن بالغيب إذن أنك تؤمن أن هناك سعيرًا أعد لهم، نار شديد الإيقاد أي مسعورة تفعل بهم ما تفعل من العذاب.

ثم هم في تلك الحال :

- **{ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا } فيعطيهم ما طلبوه { وَلا نَصِيرًا } يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي النصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغًا عظيمًا**

وهذا فكر فيه جيّدًا، وانظر إلى أحوال الناس كيف لما تأتيهم الأزمات يطلبون وليا ونصيرا، وليا يوالونه ونصيرا ينصرهم في تلك الحال.

فإذا كنت تعيش في الحياة وليّك الله

- هو الذي تفزع إليه
- وتنيب إليه
- وكلما ضاق عليك أمر صغيرا أو كبيرا جعلته نصيرك
- وبه استعنت
- وعليه توكلت
- وبه استعذت

كان وليّك ونصيرك.

أما هؤلاء فقد عاشوا حياتهم يظنون أموالهم أو يظنون أهليهم أو يظنون ما يظنون أنهم أولياؤهم وناصريهم، إلى درجة أنهم وصلوا إلى حال يبنوا لأنفسهم قبورا ممتلئة بأغراضهم الدنيوية وأموالهم وذهبهم، علها تكون وليًّا لهم أو نصيرًا!

فسُبحان من فارق بين أهل الإيمان وأهل الكفر، قوم لا يعقلون ولا يدركون الحقائق، في تلك الحال يوم تقلب وجوههم في النار يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، يعني يوم تقلب وجوههم في النار فيذوقون حرها ويشتد عليهم أمرها ويتحسرون على ما أسلفوا، في ذاك اليوم يوم تقلب وجوههم في النار لا يجدون وليا يرثي لهم ولا نصيرا يخلصهم، وتقليبهم -نعوذ بالله من هذه الحال- أي تغيير وضعهم، التقليب أصلاً هو تغيير وضع الشيء التي كان عليها، فمعنى هذا الوصف أن ملائكة العذاب تقلب وجوههم في النار بغير اختيار منهم.

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ﴾ وهذا معناه أن الوجوه سينالها النار من جميع الجهات ، فهذا حال أهل الكفر الذين اليوم يتمتعون فلا يغرك تمتعهم، وكن حذرا من حال هؤلاء الكافرين، واعلم أن الكافرين كما في هذه السورة قد جمع وصفهم في أول السورة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾الأحزاب:١ المقصود هؤلاء كلهم كافرون سواء أظهروا الكفر أو أبطنوه في قلوبهم.

فمن أراد أن يكون في مبعد ومنآ عن هذه الصفات أو هذه الأحوال، وأراد أن يحافظ على أعضائه بعيدة عن النار:

- فليؤمن بالنار
- وليستشعر الخوف منها
- وليطلب وليلح على الله أن يحرم أعضائه على النار
- وليعمل بأعضائه أعمالاً يحتسبها على الله أنها تكون سببًا لتحريم النار عليه

فللنظر إلى الآية جيدا كيف أن التخصيص للوجوه من بين سائر الأعضاء؛ لأن النار أكثر ما تؤذي الوجه الذي فيه الأعضاء الحساسة العين الأذن الفم، ثم يقول هؤلاء:

- **{يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا} فسلمنا من هذا العذاب، واستحققنا كالمطيعين جزيل الثواب. ولكن أمنية فات وقتها، فلم تفدهم إلا حسرة وندمًا، وهمًا، وغمًا، وألمًا.**

يَـٰلَيۡتَنَآ : يتمنون فكأنهم يقصدون أن يسمعوا من يرثي لحالهم وهم لا وليّ لهم ولا نصير، فلا أحد يرثي لحالهم، وهم بهذا يتندمون على ما فات. النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرهم ويبلغهم مراد الله ما اعترفوا بذلك إلا لما عاينوا العذاب، والإيمان إنما هو إيمان بالغيب.

فمن أراد نجاة نفسه:

- فليقوي إيمانه بالله وبالرسول
- ويعرف الله حق المعرفة
- ويستعدّ لذلك اللقاء
- ويحرّك شعوره اتجاه يوم القيامة ويذكر نفسه
- ويطلب لنفسه أن يكون من السعداء

فانك وُجدت هنا، وبورك لك في الأوقات، ووهبت رأس المال الذي هو الصحة مع الوقت، كل هذا من أجل أن تستعد للاختبار وتطلب فيه النجاح، فنسأل الله أن يجعلنا ممن نجح وأفلح وكان ممن صلح هو وذريته ووالديه، نسأل الله لنا ولوالدينا ولذرارينا وللمسلمين والفلاح الصلاح.

المقصد أنه أتى اعترافهم وتحسّرهم ﴿ يَـٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ في وقت غير مناسب، وهذا أيضًا فيه دليل على أن هذا طريق النجاة، (ماذا أجبتم المرسلين ؟ أطيع الله وأطيع الرسول)

قضوا حياتهم في أي شيء؟

- **{ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا } وقلدناهم على ضلالهم، { فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا } كقوله تعالى:** -وقد مر معنا- **{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بعد إذ جاءني } الآية. ولما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب،** -انتقلوا لأمر جديد- **أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم**

وأمس سمعنا ونحن نقرأ في آيات القصص ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ القصص: ٦٢ - ٦٣ الكبراء الآن يقولون: نحن غوينا وهؤلاء غووا معنا، واليوم الكلام عن العكس الضعفاء، الذين تابعوا، الذين يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، التمني حصل وقتما مسّهم العذاب، وهذا كما اتفقنا لا ينفعهم، فأتوا ينادون الله بربوبيته، ويتضرعون ويبتهلون، كانت الدنيا وقت لهذا الابتهال، فيقولون: إنا أطعنا ساداتنا.

سادتنا: جمع سيد، وهم عظماء القوم سواء كانوا عظماءهم سياسيا كما يعبرون أو فكريًّا أو إعلاميًّا، الناس يُقادون بالسلاسل الفكرية، بحيث أنك تسمع الناس يتداولون أوهامًا ولا أحد يسيطر عليهم إنما الأفكار تسيطر عليهم، المقصد أن هؤلاء السادة الذين اتبعوهم سواء كانوا سياسيًّا أو فكريًّا.

كبراءنا: الكبراء جمع كبير وهو عظيم العشيرة، والكبراء دون السادة، فممكن أن يكون الكبراء هذا كبير العائلة أو هذا كبير المدينة أو هذا كبير المدرسة أو هذا كبير الحزب، وأعلى منهم السادة الذين يكون لهم السلطة الأعلى.

الآن هم ماذا يريدون؟ يقولون ويشتكون أن ضلالهم كان بسبب ساداتهم وكبرائهم، يريدون أن ينتصفوا منهم، يريدون أن يجعلوا هذا طريقة للاعتذار والتنصّل من تبعة ضلالهم، وأنهم غُرروا وخُدعوا وهؤلاء كرروا عليهم مكر الليل والنهار فصدقوهم، وهذا الاعتذار مردود عليهم، بما أنطقهم الله بالحقيقة؛ لأنهم قالوا: ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ والكلام الذي قبل ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ كأنه يقال: لماذا أطعتموهم حتى يغروكم ؟!

وهذا حال يعيشها العالم الإسلامي، وهذا شأن عامة الناس الذين لا يستضيئون بنور القرآن ولا يعبدون الله بطلب الاهتداء، المعنى أننا قد لا نعرف السبيل، ضجيج حولنا، الكون مليء بالآراء، تلتقط الرأي وأنت في أيّ مكان، لكن أين ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أين الصدق فيها؟! أين الانكسار والذل!؟ يعني تُقبل على ربك وأنت صادق تريد أن يهديك فتظنّ فيه أنه لا يهديك!

والله إنّ الله يهدي من هو صادق ويخرجه من الظلمات إلى النور ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ البقرة: ٢٥٧ لكن الدهماء غالبًا أنهم يسوّدون عليهم من يعجبون بأضغاث أحلامه، ويُغَرّون بمعسول كلامه، ويسيرون على وَقْعِ أقدامه، حتى إذا اجتنوا ثمار أكمامه، وذاقوا مرارة طعمه، وحرارة فعله، عادوا عليه باللائمة وهم الأحقاء باللوم، هم الأحقاء باللوم، أرأيت الناس كثرة فخرجت معهم واتّبعت طريقتهم وفكرت بتفكيرهم، أنت تُلام إن كنت تريد النجاة والأمر ليس أمرًا يسيرًا، إما الجنة أو النار، ليس بالأمر اليسير فلا تضع قدمك حتى تستبصر، وإن أردت أن تستبصر فاسأل العليم الخبير، السميع البصير، القريب المجيب، الغني الحميد، أسأله ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٥ – ٦] أتدري ما تقول؟ تقول يا رب أنا ما أعبد غيرك فاهدني إليك، دُلّني، وتحمى بذلك من أن تأتي اللحظة فتقول ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴾ الآن ما يستطيع هؤلاء الكبراء والسادة أن يضلوا أحدًا إلا بسبب طاعتهم العمياء إياهم، اشتغل الناس بالطاعة العمياء عن النظر والاستدلال في كتاب الله، وضعوا أقوال ساداتهم وكبرائهم موضع قول النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هم فعلوه لأنفسهم، لكن لما يأتي العذاب يريدون أن يتخلّصوا منه بأي طريقة فيتهمونهم بأنهم فعلوا هذا الفعل وهم كما قرأنا أمس في القصص يقولون: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣] يعني الآن كل الطرفين ماذا يفعل؟ يتبرأ من غيره، فهؤلاء الضعفاء في الآيات التي نقرأها في سورة الأحزاب لما عرفوا أن معهم ساداتهم وكبراءهم يريدون أن يشتفوا ممن أضلوهم، يطلبون من الله عزّ وجلّ، فقالوا: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

يعني المقصود يطلبون الله ويتضرعون إليه ويبتهلون من أجل أن يسألوه أن يعذب هؤلاء ضعفين من العذاب لماذا ضعفين؟ ماذا يقصدون؟

ربما يقصدوا أن عذابنا عذبه بهم، يعني كأنهم يريدون أن يتخلصوا من العذاب فيلقوا عذابهم على كاهل كبرائهم، فهم يتخلصون من العذاب، هذا والله أعلم أحد المعاني، وعلى كل حال المقصود أنه عذبهم بكثرة العذاب أو بضعفين من العذاب، عذاب لأنهم كفروا وعذاب لأنهم تسببوا في كفرنا، فهذا قول

هؤلاء كأنهم يقولون الضعفاء عذبهم يارب عذابين: عذاب لكفرهم، وعذاب لتسببهم في كفر أتباعهم، فماذا كان؟

- **(والعنهم لعنا كبيرا) فيقول اللّه لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.**

نكون بهذا انتهينا من المقصد الأول من قراءتنا لهذا الجزء من آيات سورة الأحزاب، وهو عقيدتنا في اليوم الآخر، وكيف وأن الساعة غيب لا يمكن لأحد أن يخمنه.

كرِّروا على أنفسكم هذا الأمر وكرِّروه على ذراريكم، فإن أهل الباطل لن يتوقفوا كل يوم يخرجون بكلام عن الساعة، فثبتوا عقائدكم في ذلك واستعدوا ليوم القيامة، واعلموا أن أهل الكفر مهما كان حالهم في زهو، أهل الكفر والنفاق يستهزؤون بأهل الإيمان فسيأتي عليهم هذه الحال التي وصف يقينا، فسيأتي عليهم الحال التي وصف الله. ننتقل الآن إلى الغرض الآخر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾

وهذه الآيات أتت بعدما أخبر سبحانه وتعالى عن وعيد هؤلاء الكافرين الذين أخبرنا عنهم من أول السورة، الكافرين والمنافقين الذين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ويأذونه في بيته وفي حاله، فهذا الإيذاء أتى عليه من الكلام ما سمعتم من الكلام حول العقوبة يوم القيامة وأنه لا يغرك بقاؤهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخطاب لأهل الإيمان.

- **يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم، محمد صلى اللّه عليه وسلم، النبي الكريم، الرءوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام والاحترام**

لو حصلت الأذية يعني قابلنا الرسول بضد ما يجب من الإكرام والاحترام.

- **وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران**

إذن يحذرنا من أن نتشبه بحال الذين آذوا موسى ابن عمران كليم الرحمن

- **فبرأه الله مماقالوا من الأذية: أي أظهر الله براءته.**

إذن المعنى أن الله عزّ وجلّ يحذرنا من أن نقترف هذا الذنب العظيم وهو أذية النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الخطاب سواء كان للصحابة أو من حوله صلى الله عليه وسلم في حياته، ولمن بعده، وعلى كل حال، لما حُذر الصحابة من هذا نقول فيما نعتقده أن كثيرا من الأذى قد يحصل عن غفلة أصحابه، عما توجبه بعض الكلمات، فربما جاشت خواطرهم بأمور قبل التدبّر فيها، فربما كان فيها أذية للنبي صلى الله عليه وسلم، أما في حالنا نحن فتجتمع أمور كثيرة في هذا الأمر، فممكن أن يكون بهذه الطريقة، أي غفلة، إنسان غافل عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم فيتكلم عن النبي كما يتكلم عن أي أحد، هؤلاء قوم، لكن هناك آخرين لا تعرف من هم يحكمون عقولهم في شرع النبي صلى الله عليه وسلم، فتخرج منهم كلمات وأوصاف ننزّه أسماعنا وألسنتنا عن الكلام بها، وهذا التحذير من الأدلة على أن مثل هذه الأذية تقع، وخصوصًا في عصر مثل عصرنا.

ولما حذرهم الله عزّ وجلّ من أن يؤذوا النبي صلى الله عليه وسلم كما أوذي موسى، هذا دليل على أن الصحابة كانوا يعرفون كيف كان حال اليهود مع موسى عليه السلام، فقد آذوه من أول بعثته لهم، أهملوا معه واجب الأدب مع أنه أعظم الناس بينهم، فقد سمعنا في كتابنا كيف، قالوا له: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ [المائدة: ٢٤] وكيف آذوه بالتهكم لما أمرهم بذبح البقرة، قالوا له: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا ﴾[البقرة: ٦٧] فنسبوه إلى الطيش وهو نبيهم، فقال لهم: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ وقد ورد في بعض كتبهم أنهم لما خرجوا وأنقذهم الله من فرعون ووجدوا أنفسهم في البرية كانوا يقولون كلامًا معناه: أن نخدم المصريين -يقصدون فرعون ومن معه- خير لنا من أن نموت في البرية! فهذه أحوال عجيبة، ومنها هذه الحالة التي سيذكرها الشيخ الآن، يقول:

- **والحال أنه عليه الصلاة والسلام ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيهًا عند اللّه، مقربًا لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يزجرهم ما له، من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون**

يعني موسى عند الله كان وجيهًا، ومع ذلك ماذا فعل هؤلاء اليهود؟! فعلوا ما فعلوا.

- **فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك**- من جهة الأذية- **والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى.**

الشيخ يشير لأحد أهم أنواع أذيتهم لموسى.

- **والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى لما رأوا شدة حيائه وتستره عنهم: "إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر" أي: كبير الخصيتين، واشتهر ذلك عندهم**

وفي الحديث أن موسى كان رجلاً حيييًا ستيرًا فقال فريق من قومه ما نراه يستتر إلا من عاهة فيه فقال قوم: به برص وقال قوم: هو آدر.

- **فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يومًا، ووضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه**

يقول :ثوبي يا حجر ثوبي ياحجر.

- **فمر به** -يعني الحجر- **على مجالس بني إسرائيل، فرأوه أحسن خلق اللّه، فزال عنه ما رموه به.**

فسبحان الله، كم قست قلوبهم وكم عاملهم الله بالرحمة! فإذا كان هذا حالهم، فليحذر أهل الإيمان من أن يتعرض بلسانه أو بخواطره في الظنّ في النبي صلى الله عليه وسلم ظنًّا لا يليق، هذه الآية تدلّ على وجوب توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتجنب مايؤذيه، وهذا كان سنة الصحابة والمسلمين، وعلى الخلق أن يكونوا في حال حذر، فقد حصل من التميمي الذي قال في قسمة مغانم حنين: "إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ" -قال عبدالله:- فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: ((يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ))[٢]، وهذا التميمي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ من ضِئضِئِ هذا قومًا يَقرَؤونَ القرآنَ، لا يُجاوزُ حَناجِرَهم،

[٢] متفق عليه.

يَمرُقونَ منَ الإسلامِ مُروقَ السهمِ منَ الرَّمِيَّةِ، يَقتُلونَ أهلَ الإسلامِ ويَدَعونَ أهلَ الأوثانِ، لئنْ أدرَكتُهم لأُقتِلَنَّهم قتلَ عادٍ))[٣]. وفي رواية: ((يخرُجُ فيكم قومٌ تَحقِرونَ صلاتَكم معَ صلاتِهم ، وصيامَكم معَ صيامِهم ، وعملَكم معَ عملِهم ، ويقرَؤونَ القرآنَ لا يُجاوِزُ حناجِرَهم ، يَمرُقونَ منَ الدينِ كما يَمرُقُ السهمُ منَ الرميَّةِ ، ينظُرُ في النصلِ فلا يَرى شيئًا ، وينظُرُ في القدحِ فلا يَرى شيئًا ، وينظُرُ في الريشِ فلا يَرى شيئًا ، ويَتمارى في الفوقِ))[٤].

هذه ظنونهم التي ما وضعوا لها حدود ولم يوقروا النبي صلى الله عليه وسلم وظنوا أنهم على صواب في كل ما يقولون، فلهذا يقال لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾.

- **يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين،**

المهم أنك تتحرى بقلبك القول السديد ثم اعلم أن من نماذج القول السديد.

- **من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه،** -ويكون بقلبك- **والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه.**

ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح.

هذا كله من القول السديد، والحمد لله الذي جعل هذا كله من الأقوال التي يحبها، والفطر تحب لين الكلام وتحب لطيفه، والحمدلله رب العالمين.

---

[٣] رواه البخاري

[٤] رواه البخاري.

- **ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: { يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ } أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها، وطريقًا لقبولها،**

إذن أنت قل قولاً سديدا، سيكون القول السديد سبب لصلاح أعمالك.

- **لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**

اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا، سيترتب على التقوى والقول السديد أن الله يصلح لكم أعمالكم، ما معنى الإصلاح؟

- **ويوفّق فيه الإنسان للعمل الصالح**

يعني أن الله يصلح لك عملك بمعنى أن عملك يكون فيه من الثغرات والنقائص والضعف ما تقواك تسدّه، أنت تتقي فيصلح لك الله العمل الذي تعمله وأيضا يوفق الانسان للعمل الصالح

- **ويصلح اللّه الأعمال أيضًا بحفظها عما يفسدها**

يصلح عملك بأن يسدّ لك ثغرات عملك ويوفقك للعمل الصالح، ويصلح عملك بحفظه عما يفسده، فما تدخل في المنّ إذا تصدقت، وما تفقد صبرك إذا صبرت، وما يقلّ شكرك إذا شكرت، يحفظ لك عملك

- **وحفظ ثوابها ومضاعفته**

إذن هذه أربعة أمور:

١. يصلحه إصلاحًا يكون طريقًا للقبول
٢. يوفقك لأعمال صالحة.
٣. يصلح لك الأعمال بحفظها.
٤. ويحفظ ثوابها ومضاعفتها.

- **كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد**

١. سبب لفساد الأعمال

٢. وعدم قبولها

٣. وعدم تَرَتُّبِ آثارها عليها.

إذن نحرص أن نعمل ونحرص أن نكون أتقياء في كل أحوالنا ونقول قولاً سديدًا.

- **{وَيَغْفِرْ لَكُمْ} أيضًا {ذُنُوبَكُمْ} التي هي السبب في هلاككم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.**

والحمد لله رب العالمين.